MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 11-4-92
Photo No. : 199

الدكتور حيدر عبد الشافي لـ "النهار":

يجب توحيد الموقف الفلسطيني ديموقراطيا لايجاد آلية للقيادة وبديل من المفاوضات

لاحظ رئيس الوفد الفلسطيني الى مفاوضات السلام العربية - الاسرائيلية الدكتور حيدر عبد الشافي ان ما يعانيه الفلسطينيون اليوم على مستوى القيادة والمفاوضات السلمية هو غياب اي بديل. فالحادث الذي تعرض له رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات اثار "القلق والشعور بالخسارة"، لكن "مصدر القلق العميق يكمن في اننا نجهل، لو استشهد ابو عمار لا سمح الله، ماذا يكون الوضع الفلسطيني بعده". كذلك فان نقطة الضعف في الموقف الفلسطيني في المفاوضات هي عدم وجود بديل "اذا فشلت عملية المفاوضات. وهي قد تفشل".

والحل، في رأيه، يكمن اولا واخيرا في الحوار الديموقراطي بين جميع الفلسطينيين على اختلاف توجهاتهم والتوصل الى موقف موحد. فعلى مستوى القيادة، يجب ايجاد آلية للاستمرار "لان بقاء الوضع على هذا الشكل يترك الباب مفتوحا لامكانات سلبية جدا" وربما وجب ان يقدم الحادث الذي نجا منه عرفات "عظة" للفلسطينيين وله ايضا للاهتمام "بتحديد آلية ديموقراطية صحيحة لا تؤخذ بالاحداث المفاجئة". وعلى مستوى المفاوضات لن يصعب ايجاد البديل من فشلها متى استطاع الفلسطينيون "على تعدديتهم السياسية تحقيق موقف متحد" لان "الصراع الفئوي بين التنظيمات السياسية المختلفة" ادى في ما ادى اليه "الى افراغ الساحة الفلسطينية في المناطق المحتلة من الاحساس بوجود هيبة وطنية تهيمن على مجرى الامور".

وقوّم عبد الشافي في مقابلة اجراها معه سمير قصير ما وصلت اليه المفاوضات الثنائية بين الفلسطينيين والاسرائيليين واكد "ان لا تفريط في الاساسيات". واعتبر ان القضايا الاقليمية يجب الا يبحث فيها الآن ما دامت المشكلة السياسية الرئيسية معلقة وان المفاوضات المتعددة الطرف في ظل هذا الوضع "تفتح احتمالات ايجابية بالنسبة الى اسرائيل فقط". اما مسألة اللاجئين، فقال انها يجب ان "تطرح في المسار الثنائي" او ستكون لها نتائج سلبية اذا طرحت في المفاوضات المتعددة لان لا موقف فلسطينيا موحدا منها ولا موقف عربيا موحدا ايضا.

وهنا نص المقابلة:

● كيف تقبلتم نبأ اختفاء طائرة الرئيس عرفات ثم نبأ نجاته؟

- بالطبع، انتابني القلق والشعور بالخسارة. ابو عمار له مكانة خاصة في مسيرة الكفاح الفلسطيني ويؤلم كل انسان فلسطيني ان يفقد ابو عمار. لكن مصدر القلق العميق يكمن في اننا نجهل، لو استشهد ابو عمار لا سمح الله، ماذا يكون الوضع الفلسطيني بعده، اذ يعلم الجميع ان لا آلية متفقا عليها: كيف يتم انتخاب رئيس جديد للمسيرة الفلسطينية وللدولة الفلسطينية؟ وبقاء الوضع على هذا الشكل يترك الباب مفتوحا لامكانات سلبية جدا قد تصل الى حد التمزق في الصفوف الفلسطينية. هذا يعطينا عظة وربما وجب ان يعطي ابا عمار عظة للاهتمام بتحديد آلية ديموقراطية صحيحة لا تؤخذ بالاحداث المفاجئة. قضية الموت والحياة لا سيطرة لاحد عليها. المهم ان تتوافر القدرة على السيطرة على الوضع في حال فقدان اي انسان.

● اظهرت ردود الفعل العالمية على اختفاء طائرة الرئيس عرفات ان منظمة التحرير تتمتع برصيد كبير حتى لدى الذين يسعون عادة الى ابعادها. هل يؤثر ذلك على طبيعة العلاقات الاميركية - الفلسطينية بعد اليوم؟

- لا استبعد ذلك. ولا شك في ان احتمال خسارة ابي عمار اثار في اذهان الاميركيين وغير الاميركيين تقديرا لمنزلته ومكانه في مسيرة السلام الحالية. وربما مهد ذلك لتغيير في التوجه الاميركي بالنسبة الى منظمة التحرير.

● ماذا تنتظرون من جولة المفاوضات الثنائية المقبلة في ٢٧ نيسان الجاري؟ هل يمكن ان تأتي بجديد والانتخابات الاسرائيلية على الابواب؟ ام انها تفيد فقط، كما يعتقد بعض الجهات المفاوضة وغير المفاوضة، في المحافظة على اندفاع

مسيرة التسوية ؟

ـ الحقيقة اننا انتهينا من الدورة السابقة والمفاوضات في مأزق بسبب اختلاف وجهات النظر الاسرائيلية والفلسطينية في صدد الفترة الانتقالية وعدد من الامور الاساسية : الاستيطان، التحكم بالمصادر الطبيعية، صلاحيات الحكومة الفلسطينية الانتقالية ولاسيما صلاحية الاشتراع. بل هناك خلاف على الاسس التي تستند اليها عملية السلام، وتحديدا على قرار مجلس الامن ٢٤٢. اصبح واضحا ان الموقف الاسرائيلي، القائم على تجاهل القرار ٢٤٢ والمبني على القوة المجردة، موقف تحد. وهو ليس تحديا للفلسطينيين فحسب، بل للعالم اجمع، وبالذات للدول الديموقراطية الاوروبية والاميركية التي تعلن باستمرار ضرورة الحفاظ على المبادىء الاساسية للشرعية الدولية والتي خاضت في الامس القريب حربا قذرة تحت ادعاء مساندة هذه المبادىء. نحن اذا في حال انتظار ماذا يكون موقف هذه الدول من التحدي الاسرائيلي لكل ما تدعي الدفاع عنه. بمعنى آخر، لا نشعر اننا في استعجال كي نقطع المفاوضات. فلا نريد ان تسجل علينا مسؤولية قطع عملية التفاوض. نحن نذهب الى واشنطن آخذين في الاعتبار ان الاحتمال الاكبر هو خلو الموقف الاسرائيلي من اي جديد. ولكنني اعتقد انه من المعقول اعطاء الدول الغربية التي ترعى المؤتمر فرصة لتحديد موقفها.

نهج جديد

● الا تعتقدون ان الانتقادات التي وجهتها وزارة الخارجية الاميركية الى الوفد الفلسطيني بعد الجولة الاخيرة تعطي صورة عن طريقة تحديد الولايات المتحدة موقفها ؟

ـ التمييز الاميركي واضح ومعروف. ولكني اقدر ان اميركا في مأزق. فوصول عملية المفاوضات الى الطريق المسدود يشكل احراجا ويجعل الانظار تتجه اليها حتى تتحرك. ومن جهة اخرى، واجهت الادارة الاميركية هجوما في الكونغرس بسبب موقفها من مسألة ضمانات القروض. وقد تكون ارادت اسكات هذه الحملة بالضغط على الطرف الاضعف. لكن هذا لا يعني ان الموقف الاميركي لن يتبدل. فتصرف الادارة في مسألة ضمانات القروض يشكل نهجا جديدا في السياسة الاميركية. ونأمل بالطبع ان يتطور هذا النهج، خصوصا اذا نجحت الادارة الحالية في الانتخابات. وفي اي حال، لم نترك الانتقاد الاميركي لنا من دون رد، ولاحظنا انهم لم يستمروا في هذا الانتقاد. على العكس، عادوا وقالوا انهم ربما اساؤوا التعبير.

● ولكن الا تخشون ان تتكرر التجربة عندما يحين موعد الحسم وان تفضل الولايات المتحدة الاستمرار في الضغط على الطرف الاضعف للتوصل الى نتيجة ؟

ـ هذا وارد. انا اضع دائما في الاعتبار انه من الاسهل ان يمارس الضغط على الاضعف. غير انه لا سبب يدفعنا الى الاستجابة للضغط الاميركي. المسألة تتعلق بقضايا اساسية لا نستطيع ان نتهاون فيها، حتى لو ادى بنا الامر الى طلب تعليق المفاوضات.

● يبدو لجزء من الرأي العام العربي وبالاخص الفلسطيني ان الطرف الفلسطيني، ومنظمة التحرير بالذات، اذعنت للضغط الاميركي في كل مرة كانت تتعثر المفاوضات، ولاسيما عندما قبلت مشاركة الوفد في مؤتمر موسكو. ما هو ردكم على هذا الكلام ؟

ـ ما تم الى الآن لا يشكل تفريطا في الاساسيات. لكنني اعتقد ان الموقف الفلسطيني سيكون متحدا في رفض تقديم اي تنازلات اضافية، لان الجانب الفلسطيني قدم كل التنازلات الممكنة.

لا بد من بديل

● ما هو تصوركم لبرنامج العمل الاميركي الفعلي او المضمر ؟

ـ لا نستطيع ان نتنبأ بشكل واقعي بما سيفعله الاميركيون. انما اعتقد ان اميركا تعرف ما هو الممكن وما هو غير الممكن بالنسبة الى الجانب الفلسطيني. وفي اي حال، وامام كل المعطيات الحالية، اعتقد ان المطلوب من الفلسطينيين، وهذا مطلوب منذ زمن، هو التفكير في البديل. لا بد ان يكون هناك بديل اذا فشلت عملية المفاوضات، وهي قد تفشل.

وحسب علمي، ليس من بديل اليوم، وهذه نقطة الضعف في الموقف الفلسطيني. اساسا، لم نقبل الذهاب الى المفاوضات بالشروط الاسرائيلية الا لانه لم يكن لدينا بديل. كان وما زال مطلوبا ان يشكل الفلسطينيون بديلا حتى يكون في استطاعتهم، وقت الحسم، ان يقولوا لا.

● ما هو البديل الممكن ؟ هل يكون تصعيد الانتفاضة ؟ وهل يمكن الانتفاضة استعادة زخمها ؟

ـ هناك اكثر من خيار، لكن الشرط الاساسي هو ان يستطيع الفلسطينيون، على تعدديتهم السياسية، تحقيق موقف متحد. لا ينبغي ان تحول التعددية دون التوصل الى موقف فلسطيني متحد على اسس ديموقراطية صحيحة. واذا تحقق ذلك، لن يكون من الصعب ايجاد البديل، سواء كان تفعيل الانتفاضة او العمل من اجل حمل الاسرة الدولية على نقل عملية السلام الى مجلس الامن بحيث ننتهي من المؤتمر الحالي، او اي خيار آخر.

● يبدو لمن يراقب تطور الوضع في الارض المحتلة من الخارج ان التأييد

الشعبي للمشاركة الفلسطينية في المفاوضات بتضاءل بشكل ملحوظ الا يشكل ذلك عائقا امام بروز موقف متحد ؟

- كلا. هذا يشكل فقط حرجا للوفد المفاوض ولاستمرار عملية التفاوض التي لا تحقق اي تقدم في الوقت الذي تمعن اسرائيل في انتهاك الحق الفلسطيني وتصعيد القمع وتنشيط الاستيطان. من الصعب اقناع الشارع الفلسطيني في هذا الظرف بان عملية المفاوضات يمكن ان تستمر. ولكن، كما قلت، السلاح الناجع في وجه هذا الوضع الصعب هو انهاء هذا الصراع الذي لا معنى له: الصراع الفئوي بين التنظيمات السياسية المختلفة، وقد ادى الى افراغ الساحة الفلسطينية في المناطق المحتلة من الاحساس بوجود هيبة وطنية تهيمن على مجرى الامور. الانسان الفلسطيني ما زال مستعدا للصمود والتضحية، على رغم كل السلبيات والمصاعب. لكن المطلوب من القيادة الفلسطينية بشكل خاص، وبكل عناصرها، هو ان تترك جانبا الاعتبارات الذاتية والفئوية وان تسعى الى موقف متحد على اساس ديموقراطي.

● الا يحول نفوذ الحركة الاسلامية المعارضة لمبدأ التفاوض دون التوصل الى مثل هذا الموقف المتحد؟

- التيار الاسلامي يستمد الدعم من تعثر عملية المفاوضات وعدم استتباب سلام عادل. ويستند من ناحية اخرى الى الايديولوجيا الاسلامية التي انتشرت في الفترة الاخيرة في انحاء مختلفة. هذا شيء طبيعي في نظري. ويجب ان يكون التصرف حيال هذه الظاهرة تصرفا عاقلا مبنيا على تحقيق المبدأ الديموقراطي. هذا هو السبيل للتعامل مع دعاة الحركة الاسلامية.

● لقد عارضتم حضور الوفد الفلسطيني مؤتمر موسكو. كيف تنظرون الان الى جولة المفاوضات المتعددة الطرف المفترض انعقادها في شهر ايار؟ وهل تشكل الموافقة الاميركية على حضور فلسطينيين من الخارج اعمال اللجنة المعنية باللاجئين انجازا، كما يصوره البعض؟

- ليس منطقيا في نظري ان يبحث في القضايا الاقليمية في هذا الظرف، ما دامت المشكلة السياسية الرئيسية معلقة واسرائيل مستمرة في موقفها العدواني. واعتقد ان المفاوضات المتعددة الطرف في ظل هذا الوضع تفتح احتمالات ايجابية بالنسبة الى اسرائيل فقط، لجهة تطبيع علاقاتها مع المحيط العربي. وهذا شيء سلبي. اما مسألة اللاجئين، فاني اعتبر انه يجب طرحها فقط في المسار الثنائي. واخشى ان يكون لطرحها في المتعددة الطرف نتائج سلبية. والمشكلة ان لا موقف فلسطينيا موحدا من هذه المسألة كما ان لا موقف عربيا موحدا بالطبع.

● يقودنا الحديث الى سؤال بسيط وصعب في آن: ما هو مصير فلسطينيي الشتات؟

- موضوع فلسطينيي الشتات ليس مهملا. فالقرار ١٩٤ الصادر عن الجمعية العمومية ما زال ساري المفعول، ويشار اليه كل سنة في الامم المتحدة. هذا من ناحية المبدأ. لكن اسرائيل غيرت ملامح الارض كلها. هذا لا يعني انه يجب اهمال حق اللاجئين في العودة. ومن وجهة نظر الوفد الفلسطيني، ستطرح قضية لاجئي ١٩٤٨ على مائدة المفاوضات. وربما شكل طرحها عنصر ضغط كبيرا في اتجاه حمل المجموعة الدولية على الضغط بدورها على اسرائيل من اجل التخلي عن الاراضي المحتلة. اما اذا تفتحت الامور لمفاوضات جادة لاقرار سلام صحيح، فلا شك في ان القرار ١٩٤ يجب ان يؤخذ في الاعتبار. لا اعني بذلك حرفية القرار وعودة اللاجئين الى اماكن سكنهم. لقد اختفت هذه الاماكن، ويا للاسف، وتغيرت معالم البلد. ولكن لا بد من ان تؤخذ روحية القرار في الاعتبار. الحد الادنى الذي نطالب به هو انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ وهذا في ذاته يفتح مجالا لا بأس به لنسبة كبيرة من اللاجئين حتى يستقروا على ارض فلسطينية اذا ارادوا.

● ممارسة حق العودة على هذا الشكل تتطلب سيادة وطنية على الاراضي المحتلة. يعني انه يتوجب انتظار المرحلة الثانية من المفاوضات، وهي المخصصة للبحث في الوضع النهائي للاراضي المحتلة.

- من دون شك. مسألة لاجئي ١٩٤٨ ستطرح في المرحلة الثانية من المفاوضات. في المرحلة الاولى، سنبحث في وضع لاجئي ١٩٦٧ الذين نريد ان يعودوا الى المناطق المحتلة. يبقى ان الفلسطينيين شعب واحد. ووحدة الشعب الفلسطيني احد المبادىء الاساسية التي نصر عليها. نحن شعب واحد على رغم التشتت، نعتبر المصير والمستقبل واحدا. وهذا ليس مجرد كلام. ولا بد ان يترجم عمليا، من خلال حوار ديموقراطي بين الفلسطينيين في كل مكان.

● كيف يتعامل الوفد الفلسطيني مع مسألة القدس؟

- في الحقيقة، لا اعرف مصدر الحديث الذي جرى بشكل متواتر عن الكونفيديرالية. هل هي بالونات اختبار؟ لا ادري. لكنني اعتقد انه من السابق لاوانه الحديث عن الكونفيديرالية ما دام مطلب الدولة الفلسطينية لم يتحقق.

♦ كيف تقومون فاعلية التنسيق العربي في المفاوضات؟ هل يمكن ان يعقد اي من الاطراف العرب اتفاقا مع اسرائيل بمعزل عما قد يصل اليه الاطراف الاخرون؟

- لقد ناقشنا هذا الموضوع بصراحة بين الوفود العربية. وعقدت جلسات متكررة وبرز توافق بين الجميع على عدم جواز حصول اي اتفاق مع اسرائيل على حساب الاطراف العرب الاخرين.

وآمل ان يتم احترام هذا الموقف الذي نردده حين نلتقي، ونحن نكاد نلتقي يوميا اثناء جولات التفاوض. ثم اني اتصور ان الولايات المتحدة تعرف حقيقة الترابط بين الجبهات الثلاث وتدرك انه لا يمكن التقدم على احداها بمعزل عن الاخريين. واعتقد انها تدرك ايضا ان العقدة الاساسية التي يحرك حلها الموقف هي في الجبهة الفلسطينية. ولا بد من القول هنا ان لا احد في الجانب العربي، لا الفلسطينيين ولا السوريين ولا اللبنانيين، قادر على تحقيق المعجزات وان القدرة العسكرية لاسرائيل هي التي تقرر الوضع القائم. ان لم تواجه هذه القوة الطاغية بعوامل قوة تضع حدا لها، اعتقد انه لن يحدث تغيير. هذا هو وضع الوفد الفلسطيني كما السوري واللبناني.

♦ هل تنتظرون من الانتخابات الاسرائيلية تحولا يؤثر بشكل فعال على مسيرة المفاوضات؟

- في الواقع، لا. فلا فرق اساسيا بين مواقف "الليكود" و"العمل" على الاحد البعيد. كلاهما يرفض المطلب الفلسطيني بحدوده الدنيا. قد يلجأ "العمل" الى خطوات تكتيكية، ليس اكثر. مثلا، يقول "العمل" انه سيجمد عملية الاستيطان. ولكنه لا يحدد ماذا يعني بذلك. هل يعني تجميدا مؤقتا؟ وما هي حدوده؟... ستكون هناك حركات من هذا النوع. وهذا بالطبع لا يكفي. وعموما، لا نستطيع التنبؤ بالموقف الفعلي لحزب العمل لجهلنا نمط التعامل الاميركي معه.

♦ أي ان الرهان على الضغط الخارجي قبل ان يكون على تحول داخلي في اسرائيل؟

- نعم.

♦ ما هو شعوركم الشخصي حين تفاوضون رئيس الوفد الاسرائيلي واعضاءه.

- انا شخصيا اسعى الى ان اتصرف بشكل طبيعي او اقرب ما يكون الى الطبيعي، بدون تشنج وبدون خروج عما هو مقرر في العلاقات بين الناس. واعتقد ان بقية اعضاء الوفد يشاطروني الشعور اياه. ونحن نحاول ان نواظب على هذا التصرف.

♦ هل تشعرون ان العلاقة مع الاسرائيليين تختلف نوعيا عما هي بين الحاكم العسكري والشخصيات الفلسطينية في الداخل؟

- طبعا. على طاولة المفاوضات، هي علاقات تكافؤ. وهذا يختلف عما كنا نعرفه تحت الاحتلال. وتجدر الملاحظة انه لم تعد تجري لقاءات بين اعضاء الوفد وسلطات الاحتلال. منذ ان بدأت المفاوضات، والتصرف حيال اعضاء الوفد على المعابر مثلا بات تصرفا طبيعيا، اي اننا نتمتع بمعاملة خاصة بالمقارنة مع غيرنا.

- نحن نطرح دوما قضية القدس وعندما نتكلم عن الاراضي المحتلة، نضيف عبارة "بما فيها القدس". وليس عندنا اي استعداد للتفريط في مسألة القدس. فهي من المسائل الاساسية. في المقابل، نحن مستعدون لاظهار مرونة، مثلا في ما يتعلق بالقسمة المادية للمدينة. يمكن ان نتخلى عن هذا المطلب، على ان تكون حدود السلطة واضحة وان يعرف اين تبدأ السلطة الفلسطينية واين تنتهي.

الكونفيديرالية قضية اخرى

♦ ما هو تصوركم لطريقة ممارسة السيادة الفلسطينية في كل من المرحلتين، علما ان الفلسطينيين يشتركون في المفاوضات في اطار وفد مشترك مع الاردن؟

- هناك سيادة فلسطينية مقررة دوليا على المناطق المحتلة، بل على رقعة الارض التي حددها قرار التقسيم عام ١٩٤٧. هذا من الناحية القانونية. اما خلال المرحلة الانتقالية، فهناك ضرورة حماية المواطنين. هذا يتم الاتفاق عليه بالتفاوض. يمكن مثلا ان نطلب الحماية من هيئة دولية، ويمكن ان نطلب حماية حصرية في قطاع غزة، الى ان يعيد الفلسطينيون تهيئة امكاناتهم الامنية.

♦ هل هذا يعني امكان طلب حماية اردنية في الضفة الغربية؟ وهل هذا مدخل الى الكونفيديرالية؟

- المطلوب حماية الفلسطينيين، اثناء الفترة الانتقالية، من المستوطنين ومن كل من يريد الاساءة الى الامن سواء كان اسرائيليا او فلسطينيا او عربيا. ونظريا يمكن ان نطلب الحماية من اي كان. اما الكونفيديرالية، فهذه قضية اخرى. وهي لا يمكن ان تتم الا بين وحدات مستقلة. ولا يمكن الحديث فعلا عن الكونفيديرالية الاردنية - الفلسطينية الا بعد تحقيق الدولة الفلسطينية.

♦ كيف تفسرون التصريحات التي صدرت اخيرا في هذا الصدد في الطرف الفلسطيني؟ هل كانت تلبية او استباقا لمطلب اردني؟

اجرى المقابلة: سمير قصير